العدد 2859 - السنة العاشرة
الجمعة 10 ذو الحجة 1438 - الموافق 1 سبتمبر 2017
Friday 1 September 2017 - No.2859 - 10th Year

الحجاج عادوا إلى المشعر الحرام بعد قضاء يوم عرفة

الإنابة جائزة في رمي الجمرات .. والمبادرة فيها أفضل من التأخير

يوم عرفة من أفضل الأيام عند المسلمين وهو يوافق 9 من الشهر الثاني عشر «ذو الحجة». يقف الحجاج يوم عرفة بعرفة وهو موقع قريب من مكة المكرمة. وعرفة أو عرفات أبعد المشاعر المقدسة من مكة إذ يبعد عنها 22 كم، كما أنه خارج حدود الحرم.

تسمية عرفة وسميت عرفة بهذا الاسم، لأنها المكان الذي تعارفا فيه آدم وأمنا حواء بعد هبوطهما إلى الأرض.

حدوده

وهذا المكان محدد بحدود شرعية، لا يجوز الوقوف خارجها، ومن أهم هذه الحدود حد طبيعي هو وادي عرفة، وهو وادي جاف يقع غرب عرفة وهوالحد الأساسي لها. ثم إن باقي المكان يتخذ شكل قوس واسع محدد بالجبال من جميع الجهات بينما تتميز أرضه بالانبساط. هذا اليوم يمثل أهم أركان الحج في الإسلام، حتى وصفه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله «الحج عرفة» – رواه الترمذي وأبو داود – وهذا أسلوب قصر وحصر وتخصيص للدلالة على أهمية هذا الركن.

و يوم عرفة من الأيام الفاضلة، تجاب فيه الدعوات، وتقال العثرات، ويباهي الله فيه الملائكة بأهل عرفات، وهو يوم عظم الله أمره، ورفع على الأيام قدره. وهو يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، ويوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران.

من فضائل يوم عرفة

إنه يوم إكمال الدين وإتمام النعمة، ففي الصحيحين عن عمر بن الخطاب أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين، آية في كتابكم تقرؤونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، قال أي آية؟ قال : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ المائدة قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ، وهو قائم بعرفة يوم الجمعة.

قال : «يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهي أيام أكل وشرب» «رواه أهل السنن» وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «نزلت –أي آية «اليوم أكملت»– في يوم الجمعة ويوم عرفة، وكلاهما بحمد الله لنا عيد».

إنه يوم أقسم الله به والعظيم لا يقسم إلا بعظيم، فهو اليوم المشهود في قول القرآن : ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ البروج. فعن أبي هريرة أن النبي قال: «اليوم الموعود : يوم القيامة، واليوم المشهود : يوم عرفة، والشاهد : يوم الجمعة» رواه الترمذي وحسنه الألباني.

وهو الوتر الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الفجر. قال ابن عباس: الشفع يوم الأضحى، والوتر يوم عرفة، وهو قول عكرمة والضحاك.

صيامه يكفر سنتين

فقد ورد عن أبي قتادة أن رسول الله سئل عن صوم يوم عرفة فقال: «يكفر السنة الماضية والسنة القابلة» رواه مسلم.

وهذا إنما يستحب لغير الحاج، أما الحاج فلا يسن له صيام يوم عرفة؛ لأن النبي ترك صومه، وروي عنه أنه نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة.

قال الإمام النووي عن صوم أيام العشر: «أنه مستحب استحبابا شديدا».

وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفا» متفق عليه.

أنه اليوم الذي أخذ الله فيه الميثاق على ذرية آدم

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله : «إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم بنعمان– يعني عرفة– وأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذر، ثم كلمهم قبلا. قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ «الأعراف: 172، 173» رواه أحمد وصححه الألباني.

يوم عتق من النار ومغفرة

أنه يوم مغفرة الذنوب والعتق من النار والمباهاة بأهل الموقف: ففي صحيح مسلم عن عائشة عن النبي قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟».

قال ابنُ عبدِ البر : وهذا يدلُّ على أنهم مغفورٌ لهم لأنه لا يباهي بأهل الخطايا إلا بعد التوبة والغفران والله أعلم أهـ.

وعن ابن عمر أن النبي قال: «إن الله يباهي ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة، فيقول: انظروا إلى عبادي، أتوني شعثا غبرا» رواه أحمد وصححه الألباني. وسُئل فضيلة الشيخ بن عثيمين : لماذا يدعو الإنسان ولا يستجاب له ؟ والله عز وجل يقول: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ؟ فأجاب فضيلته عن أسباب إجابة الدعاء وموانع الدعاء، فقال : « هذا الرجل كان مسافراً والسفر غالباً من أسباب الإجابة لأن الإنسان في السفر يشعر بالحاجة إلى الله عز وجل والضرورة إليه أكثر مما إذا كان مقيما في أهله، وأشعث أغبر كأنه غير معني بنفسه كأن أهم شيء عنده أن يلتجئ إلى الله ويدعوه على أي حال كان هو سواء كان أشعث أغبر أم مترفا، والشعث والغبر له أثر في الإجابة كما في الحديث الذي روي عن النبي أن الله ينزل إلى السماء الدنيا عشية عرفة يباهي الملائكة بالواقفين فيها يقول: « أتوني شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية : فقال : «الشعث: هو اغبرار الرأس، والغبَرُ: هو التراب، والغبْرة: لونه» فإنه من المعلوم أن الحجيج عشية عرفة ينزل على قلوبهم من الإيمان والرحمة والنور والبركة ما لا يمكن التعبير عنه، لكن ليس هذا الذي في قلوبهم هو الذي يدنو إلى السماء الدنيا، ويباهي الملائكة بالحجيج».

فعلى المسلم أن يحرص على العمل الصالح لا سيما في هذا اليوم العظيم من ذكر ودعاء وقراءة وصلاة وصدقة لعله أنْ يحظىَ من اللهَ بالمغفرةَ والعتق من النار.

فقد ذكر ابنُ رجب في اللطائف: أن العتق من النار عام لجميع المسلمين.

وذكر ابن القيم في كتابه: «زاد المعاد في هدي خير العباد» ج1 فقال : «أنه في يوم عرفة يدنو الرَّبُّ تبارك وتعالى عشية من أهل الموقف، ثم يُباهي بهم الملائكة فيقول: «مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ، أشهدُكم أنّي قدْ غفرْتُ لهُمْ» وتحصل مع دنوه منهم تبارك والله ساعة الإجابة التي لا يَرُدُّ فيها سائل يسأل خيراً فيقربُون منه بدعائه والتضرع إليه في تلك الساعة، ويقرّب منهم الله نوعين من القرب، أحدهما: قربُ الإجابة المحققة في تلك الساعة، والثاني: قربه الخاص من أهل عرفة، ومباهاته بهم ملائكته، فتستشعرُ قلوبُ أهل الإيمان بهذه الأمور، فتزداد قوّة إلى قوتها، وفرحا وسرورا وابتهاجا ورجاء لفضل ربها وكرمه، فبهذه الوجوه وغيرها فضلتْ وقفة يوم الجمعة على غيرها».

وذكر السعدي في تفسيره للآية الكريمة : « وليال عشر » من سورة الفجر فقال : «في أيام عشر ذي الحجة، الوقوف بعرفة، الذي يغفر الله فيه لعباده مغفرة يحزن لها الشيطان، فما رئي الشيطان أحقر ولا أدحر منه في يوم عرفة، لما يرى من تنزل الأملاك والرحمة من الله لعباده، ويقع فيها كثير من أفعال الحج والعمرة، وهذه أشياء معظمة، مستحقة، لأن يقسم الله بها «هـ قال الله: «وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ»الحج28. الآية: قال ابن عباس والشافعي والجمهور: هي أيامُ العشر. وقال النووي في كتابه «الأذكار»: «واعلم أنه يُستحبُّ الإكثار من الأذكار في هذا العشر زيادة على غيره، ويُستحب من ذلك في يوم عرفة أكثر من باقي العشر» هـ أما من لم يتيسر له الحج فهو كما قال أحد السلف: « من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه، ومن عجز عن المبيت بمزدلفة، فليبيت عزمه على طاعة الله وقد قرّبه وأزلفه، ومن لم يقدر على نحر هديه بمنى فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنى، من لم يصل إلى البيت لأنه منه بعيد فليقصد رب البيت فإنه أقرب إلى من دعاه من حبل الوريد».

مناسك يوم عرفة

باختصار فإن شعائر هذا اليوم تبدأ بعد أن يصلي الحجاج صلاة الفجر في منى «التي تبعد 7 كم عن مكة» فينتظرون إلى شروق الشمس، ثم يسلكون بعدها طريقهم إلى عرفة وهم يرددون التلبية «لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»، ويقضون فيها النهار كله حتى غروب الشمس، حيث يدعون الله ويذكرونه ويبتهلون إليه كثيرا، مقتدين في ذلك بفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ويتخلل اليوم خطبة يلقيها إمام الحجاج ويستمعون إليها عند زوال الشمس «الوقت الذي قبل صلاة الظهر بخمس دقائق – وهو وقت انعدام الظلال» ثم يصلون خلفه الظهر والعصر جمعا وقصرا، بأذان واحد وإقامتين، والسنة أن يصلي الحجاج في مسجد نمرة.

المزدلفة

هي أحد مشاعر الحج، وفيها ينزل الحجاج بعد وقوفهم بعرفة للمبيت فيها، وتوجد جملة من الأعمال ينبغي أن يقوم بها الحاج في هذا المشعر:

1 – ينبغي أن يكون الدفع إلى مزدلفة بعد غروب الشمس في يوم عرفة لأن النبي صلى الله عليه وسلم «لم يزل واقفا حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلا، حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصواء الزمام؛ حتى إن رأسها ليصيب مورك رحله، ويقول بيده اليمنى: «أيها الناس: السكينة السكينة»، كلما أتى حبلاً من الحبال أرخى لها قليلاً حتى تصعد، حتى أتى المزدلفة» صحيح مسلم «3009»، وأثناء الدفع ينبغي أن يتحلى الحاج بالسكينة والوقار، وأن يتجنب زحام الناس وأذيتهم، ويكثر من الدعاء والذكر والتلبية.

2 – فإذا وصل إلى مزدلفة صلى المغرب والعشاء جمعاً بأذان واحد، ثم يصلي الوتر لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحافظ عليه في الحضر والسفر[1] فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في حديثه الطويل في الحج وفيه: «حتى أتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئا» صحيح مسلم «3009»، ثم ينام حتى يكون متهيئا لليوم الثاني وهو يوم النحر لأن كثيرا من أعمال الحج فيه كالرمي والحلق، والذبح والطواف، والسعي، أما الضعفة فيبيتون إلى منتصف الليل، ثم يدفعون بعد ذلك.

3 – يصلي الحاج صلاة الفجر في أول وقتها، ثم يقصد المشعر الحرام موحدا الله تبارك وتعالى، مكبرا له، ويدعو بما أحب إن تيسر له ذلك، وإلا وقف في أي مكان من مزدلفة لأن النبي صلى عليه وسلم قال: «وقفت ههنا وجمع كلها موقف» مسلم «1218»، فإن تيسر له الوقوف بالمشعر الحرام فهو أفضل لحديث جابر رضي الله عنه: «ثم اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلع الفجر، وصلى الفجر حين تبين له الصبح بأذان وإقامة، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعاه وكبره، وهلله ووحده، فلم يزل واقفا حتى أسفر جدا فدفع قبل أن تطلع الشمس».

فضائل المسجد الحرام

مكة هي البيت العتيق ، وهي البلد الحرام ، والبلد الأمين ، شرفها الله عز وجل ورفع قدرها ، فلها المنزلة العظمى والمقام السامي الذي لا يدانيه مقام .

كيف لا وفيها بيته الذي هو أول بيت وضع للناس ، يعبدون فيه ربهم ويتقربون إليه ، وهو البيت الذي جدد بناءه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام ، وزاده الله رفعة وتعظيما بمبعث خاتم الرسل محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم .

فهو مجمع الفضائل ومحط المكارم ، ففيه ترفع الدرجات وتغفر السيئات ، وفيه يتسابق المتسابقون في الخيرات فهو موطن رحمة ودار عبادة .

ففضائل مكة جمة ومزاياها كثيرة فلنستعرض شيئا منها ، حتى يعلم المسلم حرمة هذا البلد ومنزلته عند الله ، فمن فضائل مكة شرفها الله :

1 – أن فيها أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض ؛ قال تعالى : ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ «آل عمران:96» قال الحسن : هو أول مسجد عُبد الله فيه في الأرض .

2 – أنها حرم الله ورسوله : قال تعالى ﴿ إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ «النمل:91» فمكة حرمها الله على خلقه أن يسفكوا فيها دما حراما ، أو يظلموا فيها أحدا ، أو يصاد صيدها ، أو يختلى خلالها . وفي الصحيحين عن أبي شريح رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم : « إن مكة حرمها الله تعالى ولم يحرمها الناس ، ولا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما أو أن يعضد بها شجرة ، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يأذن لك ، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس وليبلغ الشاهد الغائب » .

3 – أنها دار الأمن والأمان : قال تعالى ﴿ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير ﴾ «البقرة:126» قال أبو جعفر : « يعني بقوله آمنا ، آمنا من الجبابرة وغيرهم ، أن يسلطوا عليه ، ومن عقوبة الله أن تناله كما تنال سائر البلدان ، من خسف وانتقاف – انقلاب – وغرق ، وغير ذلك من سخط الله ومثلاته – عقوباته – التي تصيب سائر البلاد غيره » .

4 – أحب البلاد إلى الله وإلى رسوله : فعن عبد الله بن عدي بن حمراء الزهري قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته واقف بالحزورة يقول : « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت» رواه النسائي .

5 – فضيلة الصلاة في مسجدها : وفضيلة الصلاة في المسجد الحرام لا تعدلها فضيلة فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه قال: « صلاة في المسجد الحرام أفضل مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة ، وصلاة في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، وصلاة في مسجد بيت المقدس أفضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة » ، رواه الطبراني و ابن خزيمة .

6 – محصنة من الدجال : فلا يدخلها الدجال حفظا من الله لها ، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق» رواه البخاري .

7 – زمزم: وهي كرامة إسماعيل عليه السلام وأمه ، حيث أنبع الله لهما هذه العين فصارت عينا معينا إلى يوم القيامة ، في بلد قفر لا شجر فيه ولا ماء ، وهي مع كونها تروي العطشان ، جعل الله فيها دواء وطعاما لشاربيها ، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « زمزم طعام طعم وشفاء سقم » رواه البزار و الطبراني في الصغير وصححه الألباني .

8 – حرمة استقبال الكعبة أو استدبارها عند قضاء الحاجة تكريما لها وتشريفا : فيحرم على المسلم إذا كان في فضاء من الأرض لا يحول بينه وبين القبلة شيء أن يستقبلها أو يستدبرها عند قضاء حاجته ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط ، ولكن شرقوا أو غربوا » رواه البخاري و مسلم واللفظ له .

9 – مكة مركز اليابسة : وقد دلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها ﴾ «الشورى:7» قال ابن عباس في تفسير الآية : « أم القرى ، مكة، ومن حولها الأرض كلها » . وقد دلت الاكتشافات العلمية الحديثة أن مكة شرفها الله هي مركز اليابسة ، وقد توصل إلى هذه النتيجة عدد من الباحثين منهم الدكتور حسين كمال الدين العالم المصري الذي كان يحاول رسم خريطة للعالم يبين فيها للمسلمين في أنحاء العالم اتجاه القبلة ، فاتضح له أن مكة مركز اليابسة في العالم ، وأن اليابسة على سطح الكرة الأرضية موزعة حول مكة توزيعا منتظما .

10 – مكة قبلة المسلمين : وهذه فضيلة أخرى من فضائل بيت الله الحرام ، فإليها يتوجه عموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، قال تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ «البقرة:144».

فهذه بعض فضائل بيت الله الحرام ، نسأل المولى عز وجل أن يبلغنا إياه حاجين ومعتمرين مرات بعد مرات ؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه .